سلسلة تفريغات

فضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

(حفظه الله تعالى)

الدورة التأصيلية في علم العقيدة

المستوى الثاني

كتاب التوحيد

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

رابط قناة الدورة في التليجرام

رابط الموقع الرسمي

ملحوظة: الشيخ لم يطلع على التفريغ

لأي ملاحظة يرجى مراسلتنا على البريد الإلكتروني

Drabosalahm1@gmail.com

http://www.drabosalahm.com

@DrAboSalahM

+965 50110130 الرجال
+965 97537184 النساء

شرح كتاب التوحيد- المجلس الثَّامن عشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلِين نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد...

فهذا هو المجلس الثَّامن عشر من مجالس قراءتنا لكتاب [**التوحيد**] ضِمن الدورة التأصيليَّة في دورتها الثانية، ونحن في مغرب السبت التاسع عشر من شهر شعبان عام ١٤٤٤ من هجرة المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كُنَّا قد وقفنا على قوله في الباب التاسع والخمسين: (**بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي اَلْقَدَرِ**)؛ فنبدأ على بركة الله.

المتن:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اللهمَّ اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرِين والمسلمِين أجمعِين.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي اَلْقَدَرِ

وَقَالَ اِبْنُ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: وَاَلَّذِي نَفْسُ اِبْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ، لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اَللهِ مَا قَبِلَهُ اَللهُ مِنْهُ، حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ. ثُمَّ اِسْتَدَلَّ بِقَوْلِ اَلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اَلْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاَللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ اَلْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ عُبَادَةَ بنِ اَلصَّامِتِ أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ اَلْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اَللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اَللهُ اَلْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اُكْتُبْ. فَقَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اُكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ اَلسَّاعَةُ**»، يَا بُنَيَّ، سَمِعْتُ رَسُولَ اَللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي**».

وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اَللهُ تَعَالَى اَلْقَلَمَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اُكْتُبْ. فَجَرَى فِي تِلْكَ اَلسَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ اَلْقِيَامَةِ**».

وَفِي رِوَايَةٍ لِابْنِ وَهْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ أَحْرَقَهُ اَللهُ بِالنَّارِ**».

وَفِي «**اَلْمُسْنَدِ**» و «**اَلسُّنَنِ**» عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنِ كَعْبٍ فَقُلْتُ: فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ اَلْقَدَرِ؛ فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اَللهَ يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي. فَقَالَ: لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا قَبِلَهُ اَللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ اَلنَّارِ. قَالَ: فَأَتَيْتُ عَبْدَ اَللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، وَحُذَيْفَةَ بْنَ اَلْيَمَانِ، وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ؛ فَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنِ اَلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ اَلْحَاكِمُ فِي «**صَحِيحِهِ**».

الشرح:

هذا الباب أورده المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب [**التوحيد**] لبيان أنَّ التوحيد لا يكتمل بدون الإقرار بالقَدَر، وأنَّ إنكار القَدر كُفرٌ وشِركٌ منافٍ للتوحيد، وهو على مراتب؛ ولهذا قال: (**بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي ٱلْقَدَرِ**)؛ أي: من الوعِيد، ومن العذاب، ومن الدلالة على عدم كمال الإيمان أو عدم الإيمان.

والإقرار بالقدر يتم بأربعة أمور:

- **الأول**: الإقرار بأنَّ الله يعلَم كل شيء.
- **الثاني**: الإقرار بأنَّ الله كتَبَ كلَّ شيء في اللوح المحفوظ إلى يوم القيامة، وهذه تسمَّى «مرتبة الكتابة»، والأول «مرتبة العلم.
- **الثالث**: الإقرار بأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يشاءُ الشيء ويُوجده، وهذه تسمَّى «مرتبة المشيئة».
- **الرابعة**: فِعله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في إيجاد الأشياء، وهذا «مرتبة الإيجاد أو الخَلْق أو الفِعل».

متى ما نَقَصَ أحد هذه المراتب ينقُص بقَدْر ذلك الإيمان:

إنكار المرتبة الأُولى والثانية: مناقِضة للتوحيد؛ يعني: كُفر أكبر مُخرِج من الإسلام.

إنكار المرتبة الثانية والثالثة: كُفرٌ؛ لكن العلماء لم يُكفِّروا القَدريَّة هؤلاء لوجود التأويل، وهُم من أهل البِدَع.

إذًا... إذا أردتَ أن يكون توحيدك كاملًا فعليك بالإقرار بالقَدَر وَفْق هذه المراتب الأربعة:

العلم.

الكتابة.

المشيئة.

والخَلْق والإيجاد.

أورَدَ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تحت هذا الباب ثلاثة أحاديث:

الأول: حديث ابن عُمر، وفيه: (**وَٱلَّذِي نَفْسُ اِبْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ، لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اَللهِ مَا قَبِلَهُ اَللهُ مِنْهُ، حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ**)؛ فهذا فيه دِلالة على أنَّ المُنكِرين للقَدَر.... طبعًا الخطاب هنا للقدريَّة الأُولَى؛ فالقدريَّة الأُولَى كانوا يُنكرون العلم والكتابة، وهؤلاء خرجوا من الثنتين وسبعين فِرقة.

(. **ثُمَّ اِسْتَدَلَّ بِقَوْلِ اَلنَّبِيِّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اَلْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاَللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ**)؛ والرُّكن السادس: (**وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**)؛ لقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [سورة القمر، الآية:٤٩].

إذًا... استدلال من الحديث واضح، وفِعل الصحابي واضح.

ثم أورَدَ حديث عُبادة بن الصامت، وفيه: تعامُل الصحابي مع ابنه واستدلاله؛ قال: (**يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ اَلْإِيمَانِ**)؛ اللي هو الإيمان الواجب.

(حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ).

ثم أورد الدليل وهو: ذِكْر الكتابة.

إذًا... لا زال الخطاب مع القدريَّة الأوائل.

(إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اَللهُ اَلْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اُكْتُبْ. فَقَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اُكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ اَلسَّاعَةُ).

يقول عُبادة: (أَيْ بُنَيَّ، سَمِعْتُ رَسُولَ اَللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي»)؛ ويحتمل (فَلَيْسَ مِنِّي)؛ يعني: ليس من أهل الإسلام.

(فَلَيْسَ مِنِّي)؛ أي: ليس على هَدْيِي فيكون من أهل البِدعَ.

ومُنكرو القَدر هُم على طائفتَين:

إمَّا خرجوا من الإسلام بإنكارهم القَدَر.

وإمَّا خرجوا من السُّنَّة وصاروا من أهل البِدعة بإنكارهم للقدَر.

ثم أورَدَ رواية أحمد لحديث عُبادة، وفيه: (اُكْتُبْ. فَجَرَى فِي تِلْكَ اَلسَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ اَلْقِيَامَةِ).

(وَفِي رِوَايَةٍ لِابْنِ وَهْبٍ)؛ يعني: في «جامعه»؛ هناك كتاب اسمه [**الجامع**] لابن وَهْب.

(فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ أَحْرَقَهُ اَللهُ بِالنَّارِ)؛ يعني: من حديث عُبادة بن الصامت.

الدليل الثالث: حديث أُبَيٍّ بن كعب، قال: (**وَفِي «اَلْمُسْنَدِ»**)؛ يعني «مُسنَد» الإمام أحمد.

(**و «اَلسُّنَنِ»**)؛ السُّنن الأربعة.

(**عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنِ كَعْبٍ فَقُلْتُ: فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ اَلْقَدَرِ**)؛ يعني: هل هو ثابت أو ليس بثابت؟

قال: (**فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اَللهَ يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي**)؛ لأنَّ البراهِين تُطهِّر القلب من الشُّبُهات، كما أنَّ المواعِظ تُطهِّر القلب من الشَّهوات؛ فالعلم من أحسن ما يُنظَّف به القلب أيًّا كان مرض، والمواعظ من أحسن ما يُنظَّف به شهوة القلب.

فقال أُبَي: (**لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا قَبِلَهُ اَللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ اَلنَّارِ**)؛ يعني: هذه المسألة أيضًا مهمة؛ أنَّ أهل البِدَع مُوعَّدُون بالنار.

أو يكون ذلك إنكارًا للقَدَر رأسًا؛ فيكون مُخلَّدًا في النار.

الشاهد من كلام ابن الدَّيْلَمِي: أنَّه يقول: سمِعتُ هذا من أُبَي بن كعب، (**فَأَتَيْتُ عَبْدَ اَللهِ بْنَ مَسْعُودٍ**)؛ صاروا اثنين.

(**وَحُذَيْفَةَ بْنَ اَلْيَمَانِ**)؛ صاروا ثلاثة.

(**وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ**)؛ صاروا أربعة.

(فَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنْ اَلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؛ يعني: انتَفَى الخطأ في النَّقْل، ما يمكن أربعة من الصحابة كلُّهم يتَّفقون على هذا، فأذهب الله ما في قلبه.

المتن:

أحسن الله إليكم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: **فِيهِ مَسَائِلُ:**

- **اَلْأُولَى**: بَيَانُ فَرْضِ اَلْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ.

الشرح:

وهو على المراتب الأربعة التي ذَكَرْناها.

المتن:

- **اَلثَّانِيَةُ**: بَيَانُ كَيْفِيَّةِ اَلْإِيمَانِ بِهِ.

الشرح:

الرضا، والتسلِيم، والانقياد.

المتن:

- **الثَّالِثَةُ**: إِحْبَاطُ عَمَلِ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ.

الشرح:

لماذا يَحبُط عمل مَن لم يُؤمن؟ لأنَّه يكفُر إذا أنكَرَ العلم والقُدرة، أو يضِلّ إذا أنكَرَ الخَلْق والإيجاد والمشيئة.

المتن:

- **اَلرَّابِعَةُ**: اَلْإِخْبَارُ بِأَنَّ أَحَدًا لَا يَجِدُ طَعْمَ اَلْإِيمَانِ حَتَّى يُؤْمِنَ بِهِ.

الشرح:

وهذا والله إذا وَقَعَ عليك شيء وأحسسْتَ بضَجَرٍ فاعلَم أنَّ في إيمانك الواجب نَقْصًا.

وإلَّا لو كان في إيمانك الواجب كمالًا لَمَا وجدتَ الضَّجَر.

المتن:

- **اَلْخَامِسَةُ**: ذِكْرُ أَوَّلِ مَا خَلَقَ اَللَّهُ.

الشرح:

(**أَوَّلِ مَا خَلَقَ اَللَّهُ**)؛ القلم بالنسبة لِمَا يتعلَّق بأمور الدنيا؛ فتكون الأوليَّة نِسبيَّة.

أو (**أَوَّلِ مَا خَلَقَ اَللَّهُ**)؛ يعني: مُطلقًا؛ فتكون الأوليَّة مُطلقًا.

لكن الثاني هو الأظهَر؛ لماذا؟

لأنَّ اللوح كان موجود (اللوح المحفوظ)، العرش كان موجود قبل أن يكتُب عليه القلم.

المتن:

- **اَلسَّادِسَةُ**: أَنَّهُ جَرَى بِالْمَقَادِيرِ فِي تِلْكَ اَلسَّاعَةِ إِلَى قِيَامِ اَلسَّاعَةِ.
- **اَلسَّابِعَةُ**: بَرَاءَتُهُ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ.
- **اَلثَّامِنَةُ**: عَادَةُ اَلسَّلَفِ فِي إِزَالَةِ اَلشُّبْهَةِ بِسُؤَالِ اَلْعُلَمَاءِ.

- **اَلتَّاسِعَةُ:** أَنَّ اَلْعُلَمَاءَ أَجَابُوهُ بِمَا يُزِيلُ شُبْهَتَهُ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ نَسَبُوا اَلْكَلَامَ إِلَى رَسُولِ اَللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَطْ.

الشرح:

(**عَادَةُ اَلسَّلَفِ فِي إِزَالَةِ اَلشُّبْهَةِ بِسُؤَالِ اَلْعُلَمَاءِ**)؛ وهذا أمر عظيم، العلماء جعَلَهم الله مصابِيح الدُّجَى، أنجُم غياهب الظلام، بِهِم يقصد التائب والضَّالُّ في البراري، وشُبُهات الشِّرْك والبِدَع والضلالة.

المتن:

أحسن الله إليكم، قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى:

بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمُصَوِّرِينَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَ تَعَالَى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؛ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيْرَةً**». أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ**».

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ**».

وَلَهُمَا عَنْهُ مَرْفُوعًا: «**مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ؛ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ**».

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الهَيَّاجِ قَالَ: قَالَ لِي عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ أَلَّا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا؛ إِلَّا سَوَّيْتَهُ.

الشرح:

هذا الباب مناسبته لكمال التوحيد: أنَّ الموحِّد يبتعد عن التصوير كلَّ البُعْد، لا يَرِد هذا الباب مُطلقًا، وأنَّ مَن وَلَجَ هذا الباب فقد نَقَصَ توحيده.

وأورَدَ فيه المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ خمسة أحادِيث.

والعجيب أنَّ أحادِيث التصوير جاوزَتْ خمسين حديثًا، وكم يتساهَل الناس فيه، بل وربَّما يتساهَل فيه بعض المنتسِبين إلى العلم، فيضعُون صُورهم على حالاتهم ولا يُبالُون بهذا. هذا أمر خطير يا إخوة! ولو سألتَ أحدهم مَن أين أتَيْتَ بالاستثناء لهذه الصور؟

- إمَّا أن يكون قياسًا في مُقابل عمومات.
- وإمَّا التساهُل.

بل إن بعضهم يقول: عموم البلوَى. مسكين! طيب عموم البلوَى... أنت طالب علم؛ أيش علاقتك بعموم بلوَى الناس؟! لا حول ولا قوَّة إلَّا بالله!

إن قال قائل: ما علاقة التصوير بالتوحيد؟

هو الأحادِيث تُبيِّن هذه المعاني؛ أنَّ هذه التصاوِير:

- فيها تشبُّه بفِعل الربِّ من جهة.

- ربَّما يؤدِّي إلى تعظيم الصور وتعليقها في البيوتات، ومَنْع دخول الملائكة من جهةٍ أخرى.
- ربَّما يؤدِّي إلى عبادتها؛ فلا يكون الموحِّد سببًا في ذلك.

فهذه ثلاثة أسباب من حيث الإجمال.

حديث أبي هريرة، وهو حديثٌ قُدسي (**قَالَ تَعَالَى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؛ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيْرَةً**)؛ لا يأتي ويقول: الناس في المعامل والمصانع يسوُّون ما يسمَّى بأطفال الأنابيب، يسوُّون زراعة. لا، هذا ليس خَلْقًا؛ هذا تشكِيل للخَلْق؛ الخَلْق معناه: الإيجاد من العدم، يعني: لمَّا الإنسان يأخُذ الحديد ويسوِّي السيارة؛ هذا ما يسوِّغ له أن يقول: أنا خَلقْتُ السيارة. لأنَّ مادة السيارة خَلْقٌ لله عَزَّوَجَلَّ؛ هذا تشكيل فقط.

إذًا... (**مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي**)؛ يسوِّي من الطِّين إنسان، من الصنم إنسان، من الشجر إنسان، ينحت كما يقولون، أو يحط شمع عليه عشان يبقَى مثل ما هو صورة فقط ولَّا أسد. الأمر خطير!

الأخطر من هذا وَضْع تماثِيل هذه الأشياء أمام الأبواب، في الحدائق معظَّمة.

نسأل الله السلامة والعافية!

الحديث الثاني: حديث عائشة (**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ**)؛ طبعًا المُضاهاة هذه عِلَّة أخرى للتحريم، التصوير مُحرَّم لعِللٍ مُفرَدةٍ ومُجتَمعةٍ، التصاوير مُحرَّمة لعِللٍ مُفرَدة ولعِللٍ مُجتمعة؛ ففيها:

- مَشابَهة لخَلْق الله. هذه عِلَّة.
- مُضاهاة خَلْق الله. هذه عِلَّة.
- وأيضًا فيه أنَّها تؤدِّي إلى التعظيم. هذه عِلَّة أخرى.
- قد تُعبَد. هذه عِلَّة أخرى.

(**يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ**)؛ ومعنى (**يُضَاهُونَ**)؛ يعني: يُجارُون ويتسابقُون.

ولذلك تجدهم اليوم يعملُون كل جُهدهم ليصنعوا روبوتًا على شكل الإنسان؛ لماذا؟ لماذا على شكل الإنسان؟ لعلمهم اليقيني أنَّ أكمل خَلْقٍ موجودٍ في الأرض هو الإنسان، وهذا أمر مفطور، الله فَطَرَ الإنسان عليه؛ فلذلك يريدون مُضاهاة خَلق الله.

قال في حديث ابن عباس: (**كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ**). (**كُلُّ**)؛ لفظ عام، يريد أحد أن يستثنِي؛ يجيب لنا دليل، يقول: أنا مضطرّ أصوِّر صورة حق البطاقة. هذا باب آخر، باب الاضطرار لا تسوِّغ به الاختيار؛ هذا من ضلالات إبليس.

يقول: أنا مضطر إنِّي أسوِّي صورة للبطاقة المدنيَّة. طيب هذا مضطرّ؛ ليش تُدخِل فيه ما لستَ به فيه مضطر؟

(**كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ**)؛ أمر خطير ترى!

وقول بعض الناس: أنَّ المقصود بالمصوِّر هنا: صانع التماثِيل. ليس بصحيح؛ لأنَّه قال: (**كُلُّ**)، وقال: (**مُصَوِّرٍ**)؛ نكرة.

(**وَلَهُمَا عَنْهُ**: «**مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا**). (**صُورَةً**)؛ نكرة في سياق الشرط.

(**مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا**)؛ أي: لذوات الأرواح؛ من أين فهِمنا هذا الاستثناء؟ من حديث ابن عباس: أنَّ رجُلًا جاء إليه وقال: إنِّي رجُلٌ أُصوِّرُ أتكسَّب. فقال ابن عباس: إن كان ولا بُدّ فممَّا لا رُوحَ فيه. يعني: صوِّر البحر، صوِّر البَرّ؛ ما في بأس.

قال: (**كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ؛ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ**).

وفي حديث مسلم: أنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال لعلي: «**لَا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا**»؛ وطَمْسُ الصورة بأمرَيْن:

✸ **إمَّا بإزالة الرأس**: فإذا قُطِعَ الرأس فلا صورة.

✸ **وإمَّا بإزالة الملامح**: بحيث لا تعرف هذه صورة مَن؟ صورة حيوان، صورة إنسان، صورة طَيْر؛ ما تعرف؛ فحينئذٍ ليس بصورة.

إذًا... طَمْس الصور هذا أمر بَعَثَ عليه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عليًّا.

(**وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا؛ إِلَّا سَوَّيْتَهُ**)؛ **القبر المُشرِف**: اللي عليه خلِّينا في مكان عال، الناس يشوفونه، يزورونه، أو عليه بُنيان؛ القبور لا تُرفَع إلَّا بمقدار نصف ذراع، ولا يجوز وَضْع الأحجار عليها، وَضْع الإسمنت عليها والجبس، ونحو ذلك.

المتن:

أحسن الله إليكم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: **فِيهِ مَسَائِلُ**:

- **الأُولَى**: التَّغْلِيظُ الشَّدِيدُ فِي المُصَوِّرِينَ.

- **الثَّانِيَةُ**: التَّنْبِيهُ عَلَى العِلَّةِ وَهُوَ تَرْكُ الأَدَبِ مَعَ اللهِ، لِقَوْلِهِ: «**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي**».
- **الثَّالِثَةُ**: التَّنْبِيهُ عَلَى قُدْرَتِهِ، وَعَجْزِهِمْ لِقَوْلِهِ: «**فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ شَعِيرَةً**».
- **الرَّابِعَةُ**: التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُمْ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا.
- **الخَامِسَةُ**: أَنَّ اللهَ يَخْلُقُ بِعَدَدِ كِلِّ صُورَةٍ نَفْسًا يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ.
- **السَّادِسَةُ**: أَنَّهُ يُكَلَّفُ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ.
- **السَّابِعَةُ**: الأَمْرُ بِطَمْسِهَا إِذَا وُجِدَتْ.

الشرح:

طبعًا (**أَنَّ اللهَ يَخْلُقُ بِعَدَدِ كِلِّ صُورَةٍ نَفْسًا يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ**)؛ ذَكَرَ بعضهم: أنَّ هذه النفس على الصورة التي صوَّرها:

صوَّر صورة الأسد: يخلُق الله له أسدًا يُعذِّبه.

صوَّر صورة إنسان: يخلُق الله له إنسانًا يُعذِّبه.

صوَّر صورة حيوان: يخلُق الله له حيوانًا يُعذِّبه.

المتن:

أحسن الله إليكم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

بَابٌ مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ ٱلْحَلِفِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ [سورة المائدة، من الآية:٨٩].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**اَلْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ**». أَخْرَجَاهُ.

وَعَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللهُ وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَتَهُ؛ لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ**». رَوَاهُ اَلطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وَفِي «**اَلصَّحِيحِ**» عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ اَلَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ اَلَّذِينَ يَلُونَهُمْ** -قَالَ عِمْرَانُ: **فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا؟- ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمْ اَلسِّمَنُ**».

وَفِيهِ عَنِ اِبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ اَلنَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**خَيْرُ اَلنَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ اَلَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ اَلَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**».

قَالَ إِبْرَاهِيمُ: كَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى اَلشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ.

الشرح:

هذا الباب أيضًا مناسبته لكتاب [**التوحيد**] أنَّ الموحِّد لا يُكثِر الحلِف، ولا يحلف إلَّا عند الحاجة والضرورة.

الأصل أنَّ الإنسان لا يحلف إلَّا عند القاضي أو المُفتِي؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٢٤]؛ وفيه دِلالة أنَّ الذي يُكثِر من الحَلِف ما أتى بالتوحيد الكامل.

لذلك أنا عاهدْتُ نفسي أنِّي إذا رأيتُ إنسان يحلِف في بَيْعه لا أشتري منه حتى يتأدَّب، لا تقبل من إنسان يحلف في البيْع والشراء، لا في شرائه ولا في بَيْعه؛ إنَّ الله أعظم من أن يُمتَهَن اسمه لأجل دراهم ودنانير زائلة.

إذا كنَّا مرَّ معنا (**لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الْجَنَّةَ**)؛ فيأتيك إنسان يقول: أسألُك بوجه الله.... تعلم أنَّه ناقص التوحيد فتُعطِيه؛ لكن علِّمه، لا يُسأَل بوجه الله إلَّا الدائم.

نفس الكلام... إذا رأيْت إنسان يُكثِر من الحَلِف انهَهُ.

أورَدَ تحت هذا الباب آية ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [سورة المائدة، من الآية:٨٩]؛ من معاني هذه الآية: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾؛ أي: لا تحلِفوا إلَّا عند الطلب، عند الضرورة والحاجة؛ كالقاضي يقول لك: احلِف. أو المُفتِي، أو لإقرار الحقّ وبيانه، ونحو ذلك.

وأمَّا حديث أبي هريرة: ففيه دلالة أنَّ (**اَلْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ**)؛ فلا يأتي أحد يظُن أنَّه إذا حَلِف أنَّه يكثُر ماله.

وحديث سَلْمان فيه:

(**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اَللهُ**). هذه واحدة.

(**وَلَا يُزَكِّيهِمْ**)؛ يعني: لا يُطهِّرهم.

(**وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**).

ثلاث عقوباتٍ:

(**أُشَيمِطٌ زَانٍ**)؛ رجُل كبير ما له داعي أن يزنِي، يزنِي.

(**وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**)؛ فقير ويستكبِر.

(**وَرَجُلٌ جَعَلَ اَللهَ بِضَاعَتَهُ؛ لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ**)؛ هذه خطورة الحلِف في البيع والشراء.

ثم أورَدَ حديث عِمران، وفيه، الشاهد من الحديث، مع بيان فضل خير القرون الصحابة والتابعِين وتَبْع التابعِين؛ (**ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ**)؛ هذا هو الشاهد من الحديث.

معنى (**يَشْهَدُونَ**)؛ يقول: والله.

(**وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ**)؛ أي: ما طُلِبَ منهم الشهادة واليمين. واضح؟

(**وَيَظْهَرُ فِيهِمْ اَلسِّمَنُ**)؛ نسأل الله أن يغفر لنا ولكم! نسأل اله السلامة والعافية! هذه من علامات الساعة أنَّ الناس يشتكُون من السِّمنة وآخرون يموتون من الجوع.

ثم خَتَمَ بحديث ابن مسعود، وفيه: (**ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**)؛ لا يُبالي حَلَف، طُلِب منه الشهادة ولَّا ما طُلِب منه الشهادة؛ المهم أنَّه يحلف.

(**قَالَ إِبْرَاهِيمُ**)؛ هو إبراهيم بن يَزِيد بن قَيْس النَّخَعِي، من كبار تلامذة تلامذة ابن مسعود.

(**كَانُوا**)؛ يعني: الصحابة والتابعِين.

(**يَضْرِبُونَنَا عَلَى اَلشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ**)؛ يعني: يؤدِّبوننا، يقولون: لا تحلِف. ينهاه عن الحلف.

لا تقول: وعهد الله.

لا تقول: والأمانة.

لا تعوِّده على هذا الشيء.

المتن:

أحسن الله إليكم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: **فِيهِ مَسَائِلُ:**

- **الْأُولَى**: اَلْوَصِيَّةُ بِحِفْظِ اَلْأَيْمَانِ.
- **الثَّانِيَةُ**: اَلْإِخْبَارُ بِأَنَّ اَلْحَلِفَ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْبَرَكَةِ.
- **الثَّالِثَةُ**: اَلْوَعِيدُ اَلشَّدِيدُ فِيمَنْ لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ وَلَا يَبِيعُ إِلاَّ بِهَا.
- **الرَّابِعَةُ**: اَلتَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ اَلذَّنْبَ يَعْظُمُ مَعَ قِلَّةِ اَلدَّاعِي.

الشرح:

نعم، الذنب يعظُم لعِدَّة أسباب، الذنب هو ذنب.

مثلًا: **الزِّنا**: الزِّنا زنا، مُحرَّم، كبيرة من كبائر الذنوب؛ لكنَّه يعظُم لعِدَّة أشياء:

الزنا مع زوجة المُجاهد الذي ذهب للجهاد أو في (٢٩:٥٩) ليس كالزنا بآخر.

الزنا بزوجة الجار وحلِيلة الجار أعظم.

الزنا بالمحارِم أشدّ.

الزنا من شيخٍ زانٍ أشدّ.

إذًا... الذنوب تتعاظَم لعِدَّة أسباب.

المتن:

- **الخَامِسَةُ:** ذَمُّ اَلَّذِينَ يَحْلِفُونَ وَلَا يُسْتَحْلَفُونَ.
- **اَلسَّادِسَةُ:** ثَنَاؤُهُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَلَى اَلْقُرُونِ اَلثَّلَاثَةِ أَوْ اَلْأَرْبَعَةِ، وَذِكْرُ مَا يَحْدُثُ بَعْدَهُمْ.

الشرح:

الذي دلَّ عليه الأحادِيث الكثيرة أنَّ الثناء على القرون الثلاثة، وهُم:

- **الصحابة:** جِيل من الناس.
- **والتابعُون:** الجِيل الآخر.
- **وتَبْع التابعِين:** الجيل الثالث.

المتن:

- **اَلسَّابِعَةُ:** ذَمُّ اَلَّذِينَ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ.
- **اَلثَّامِنَةُ:** كَوْنُ اَلسَّلَفِ يَضْرِبُونَ اَلصِّغَارَ عَلَى اَلشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ.

الشرح:

اكتب: وفيه دِلالة على التربية الإيمانية، وصَوْن توحيدهم، والحِرص على كمال التوحيد في قلوبهم.

المتن:

أحسن الله إليكم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

بَابٌ مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اَللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [سورة النحل، من الآية:٩١]. اَلْآيَة.

وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ بِتَقْوَى اَللهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ اَلْمُسْلِمِينَ خَيْرًا؛ فَقَالَ: «**اُغْزُوا بِسْمِ اَللهِ، قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اَللهِ مَنْ كَفَرَ بِاَللهِ... اُغْزُوَا، وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ اَلْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ -، فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ اُدْعُهُمْ إِلَى اَلْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، ثُمَّ اُدْعُهُمْ إِلَى اَلتَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ اَلْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى اَلْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ اَلْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اَللهِ تَعَالَى وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي اَلْغَنِيمَةِ وَالْفَيءِ شَيءٌ؛ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا**

مَعَ اَلْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَاسْأَلْهُمْ اَلْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَاسْتَعِنْ بِاَللهِ وَقَاتِلْهُمْ.

وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ، فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اَللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اَللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ؛ وَلَكِنِ اِجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ؛ فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اَللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ.

وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ، فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اَللهِ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اَللهِ؛ وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ اَللهِ أَمْ لَا؟». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الشرح:

هذا الباب أيضًا مناسبته لكتاب [**التوحيد**] جليَّة، وهي: أنَّ الموحِّد يعرف قَدْر ذِمَّة الله وقَدْر ذِمَّة نبيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فيُحافظ على الذِّمم التي عُقِدَتْ باسم الله، وعلى ذِمم التي عُقِدَتْ على هَدْي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنَّ مَن نَقَصَ توحيده فإنَّه لا يُبالي بذِمَّة الله ولا بذِمَّة نبيِّه.

ومن هنا استدلَّ العلماء أنَّ الخوارج ضُلَّال لأنَّهم ينقضون عهود المسلمِين فيقتلون أهل الذِّمَّة، ويُفجِّرون ويفعلون ما يفعلون.

والآية واضحة الدِّلالة على هذا الباب ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ [سورة النحل، من الآية:٩١]؛ والموحِّد إذا عاهَدَ بعَهْد الله يفي.

﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [سورة النحل، من الآية:٩١]؛ بذِكْر اسم الله عَزَّوَجَلَّ.

ثم أورد حديث بُرَيْد الطويل، والشاهد فيه آخر لفظة: (**فَإِنَّكُمْ أَنَّ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ**). (**تُخْفِرُوا**)؛ بمعنى يعني: تُبطِلوا وتَترُكوا.

(**ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اَللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ**)؛ دلَّ على أنَّ إبطال ذِمَّة الله ونَقْض ذِمَّة، وإبطال ذِمَّة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونَقْض ذِمَّة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه كبيرة دالَّة على.... هو إبطال العهد مع الناس كبيرة؛ فكيف إذا كان عهد الله؟!

ولذلك وصَّى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأهل الذِّمَّة، فمَن خَفَرهم ونَقَضَ العهد معهم -انتبه الآن-؛ يكون قد خَفَرَ في ذِمَّة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأيضًا في آخر الحديث: (**وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ اَللهِ أَمْ لَا؟**)؛ فيه دلالة على أنَّ المسائل العَيْنيَّة لا تختلف فيها الأحكام، يمكن أنَّ الإنسان يُصِيب فيه حُكم الله، يمكن لا يصيب حُكم الله؛ فلا يأتي أحد ويُلزِم الناس بالمسألة العَيْنيَّة ويقول للناس: توافقوني ولَّا تراكُم تكفرون وتخرجون من الإسلام؟

المتن:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: **فِيهِ مَسَائِلُ:**

- **اَلْأُولَى**: اَلْفَرْقُ بَيْنَ ذِمَّةِ اَللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ، وَبَيْنَ ذِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

الشرح:

أعظَم الذِّمم ذِمَّة الله، عهد الله، والوعد الذي قال الناس: نحن في ذِمَّة الله. يعني: في عَهْده وفي أمانه، اقبلوا مِنَّا. فقَبِلوا منهم ثم غَدَروا فيهم؛ فهذا أعظم أنواع الغَدْر.

المتن:

- **اَلثَّانِيَةُ**: اَلْإِرْشَادُ إِلَى أَقَلِّ اَلْأَمْرَيْنِ خَطَرًا.

الشرح:

يعني: لا شك أنَّ الغدر في ذِمَّة الناس مُحرَّمًا؛ لكن أرشد النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلى أقل الأمرَيْن خطرًا، كلُّه خطر.

المتن:

- **اَلثَّالِثَةُ**: قَوْلُهُ: «**اُغْزُوا بِسْمِ اَللهِ فِي سَبِيلِ اَللهِ**».
- **اَلرَّابِعَةُ**: قَوْلُهُ: «**قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاَللهِ**».
- **اَلْخَامِسَةُ**: قَوْلُهُ: «**اِسْتَعِنْ بِاَللهِ وَقَاتِلْهُمْ**».
- **اَلسَّادِسَةُ**: اَلْفَرْقُ بَيْنَ حُكْمِ اَللهِ وَحُكْمِ اَلْعُلَمَاءِ.

الشرح:

➢ **حُكم الله** عَزَّوَجَلَّ: هو المنطوق بالعمومات أو بالخصوصيَّات في الكتاب والسُّنَّة.

➢ **وأمَّا حُكم العلماء**: فهو المُستنبط من كلام الله، ومن كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وليس الثاني كالأول.

المتن:

- **اَلسَّابِعَةُ**: فِي كَوْنِ اَلصَّحَابِيِّ يَحْكُمُ عِنْدَ اَلْحَاجَةِ بِحُكْمٍ لَا يَدْرِي أَيُوَافِقُ حُكْمَ اَللهِ أَمْ لَا؟

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى:

بَابُ مَا جَاءَ فِي الْإِقْسَامِ عَلَى اللهِ

عَنْ جُنْدُبِ بنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ. فَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ القَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ.

الشرح:

هذا الباب مناسبته لكتاب [**التوحيد**]: أنَّ الموحِّد يكون متأدِّبًا مع الله؛ فلا يتعالَى على الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يحجُر أمرًا على الله، وأنَّ مَن نَقَصَ توحيده فإنَّه قد يتعالَى على الله، وقد يحجُر شيئًا في حقِّ الله.

ومعنى الإقسام على الله: هو أن يمنع الإنسان شيئًا على الله عَزَّوَجَلَّ فيقول: والله يا ربِّي لا تشفِي فلان. مَن أنت حتى تقول: والله يا ربِّي لا تشفِي فلان؟!

أو يقول: والله إنَّ ربَّنا لن يغفر لفلان. مَن أنت حتى تحجُر رحمة الله؟!

أو يقول: أقسمتُ عليك يا ربِّي أن لا تُعافِي فلان. أو أن لا ترزُق فلان. ونحو ذلك؛ فهذا ليس من علامات الموحِّدِ الكُمَّل؛ فوجه إيراده مناسبٌ جدًّا.

أورَدَ فيه حديث جُندب، وفيه: أنَّ رجُلًا قال: (**وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ**)؛ وهكذا لو قال: والله لا يرزُق الله فلان. هذا تمثيل ترى.

وهكذا لو قال: والله لا يرحم الله فلان.

وهكذا لو قال: والله لن يُعِزَّ الله فلان. مثلًا.

طالب: .....

لا؛ بس ما يجوز بالإقسام؛ بدون إقسام؛ يعني: يدعو الله عَزَّوَجَلَّ يقول: اللهمَّ أكرِم فلان. يطلُب من الله؛ لكن لا يُقسِم على الله.

أمَّا الإقسام على الله في الدعاء، الإقسام على الله بصِيغة الدعاء، مثل حديث الرُّبَيِّع «والله لا تُكسَرَنَّ ثَنِيَّة رُبَيِّع» مثلًا؛ فهذا من باب الدعاء، من باب الدعاء ما في بأس.

أمَّا من باب الخبريَّة هو المنهِيُّ عنه، سواء كان في الخير أو كان في الشَّر؛ فلا بد من التفريق.

طالب: .....

ما في بأس؛ هذا شيء زين.

طالب: .....

ما في بأس؛ هذا دعاء مطلوب وجائز.

قال: (**مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟**)؛ منو هذا اللي يحجِّر عليَّ؟ يقول: والله ما يغفر الله لفلان. منو هذا؟

(**إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**). (**غَفَرْتُ لَهُ**)؛ فيه دلالة أنَّ الله يغفر ابتداءً بدون أي سبب، كما في حديث ابن ماجه: «**إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ**» ابتداءً؛ فالله غفَرَ لهذا العبد ابتداءً.

وأحبطَ عمله للكلمة التي قالها (**أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ**).

المتن:

أحسن الله إليكم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: **فِيهِ مَسَائِلُ:**

- **الْأُولَى**: التَّحْذِيرُ مِنَ التَّأَلِّي عَلَى اللهِ.

الشرح:

(**التَّأَلِّي**)؛ كالتعالِي وزنًا ومعنًى، وهو: الحَجْر أنَّ الله يفعل كذا أو لا يفعل كذا.

المتن:

- **الثَّانِيَةُ**: كَوْنُ النَّارِ أَقْرَبَ إِلَى أَحَدِنَا مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ.
- **الثَّالِثَةُ**: أَنَّ الجَنَّةَ مِثْلُ ذَلِكَ.

- **الرَّابِعَةُ**: فِيهِ شَاهِدٌ لِقَولِهِ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ.....**» إِلَى آخِرِهِ.
- **الخَامِسَةُ**: أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ يُغْفَرُ لَهُ بِسَبَبٍ هُوَ مِنْ أَكْرَهِ الأُمُورِ إِلَيْهِ.

الشرح:

يعني: الله غَفَرَ له بسبب هو من أكره الأمور إليه، وهو أنَّ الله حَبطَ عمل أخاه.

المتن:

أحسن الله إليكم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

بَابٌ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاَللهِ عَلَى خَلْقِهِ

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى اَلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اَللهِ، نُهِكَتِ اَلْأَنْفُسُ وَجَاعَ اَلْعِيَالُ، وَهَلَكَتِ اَلْأَمْوَالُ؛ فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِاَللهِ عَلَيْكَ، وَبِكَ عَلَى اَللهِ. فَقَالَ اَلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سُبْحَانَ اَللهِ! سُبْحَانَ اَللهِ!**» فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ ثُمَّ قَالَ: «**وَيْحَكَ! أَتَدْرِي مَا اَللهُ؟ إِنَّ شَأْنَ اَللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاَللهِ عَلَى أَحَدٍ**». وَذَكَرَ اَلْحَدِيثَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

الشرح:

هذا الباب مناسبته لكتاب [**التوحيد**] جليَّة من جهة أنَّ الموحِّد يعرف قَدْر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فلا يطلُب من الله أن يشفع عند أحد لأنَّ الله ليس بحاجة إلى فلان ليشفع عنده؛ مَن الذي يشفع عند فلان؟

أن يكون محتاجًا إليه؛ أمَّا الله فيأمُر ويَنهَى ﴿كُن فَيَكُونُ﴾.

إذًا... مناسبته لكتاب ~[التوحيد] جليَّة.

أمَّا مَن لم يعرف التوحيد، أو مَن لم يعظُم التوحيد في قلبه؛ فإنَّه ربَّما يظُن أنَّ الله يشفع عند فلان، أو أنَّ الله بحاجة إلى فلان تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا.

أورد فيه حديث جُبَيْر بن مُطعِم، وهو الشاهد فيه واضح أنَّ هذا الأعرابي قال: (**فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِاَللهِ عَلَيْكَ، وَبِكَ عَلَى اَللهِ**)؛ طبعًا (**بِكَ عَلَى اَللهِ**)؛ ما في إشكال؛ وإنَّما الإشكال في قول: (**نَسْتَشْفِعُ بِاَللهِ عَلَيْكَ**)؛ يعني: كأنَّه يقول: نطلُب من الله أن يطلُب منك. الله ما يطلُب من أحد، لا نبي ولا مَلَك ولا مَلِك ولا ولي؛ الله يأمُر ويَنهَى.

(**فَقَالَ اَلنَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سُبْحَانَ اَللهِ! سُبْحَانَ اَللهِ!**»)؛ فيه دلالة على أنَّه إذا أُسِيءَ الأدب مع الله يسبِّح الإنسان.

قال: (**فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ**)؛ لأنَّهم أيضًا يُكرِّرون التسبيح، وكَرِهوا هذه المقالة، هذه العبارة.

(**ثُمَّ قَالَ**: «**وَيْحَكَ!**)؛ كلمة بمعنى الهلاك.

(**أَتَدْرِي مَا اَللهُ؟**)؛ يعني: ما عرفتَ عظمة الله؟

(**إِنَّ شَأْنَ اَللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاَللهِ عَلَى أَحَدٍ**)؛ الله جَلَّ وَعَلَا ما تقول له: يا ربِّي، اطلب من فلان أن يُعطِيني. يا رب، مُرْ فلانًا يُعطيني.

المتن:

أحسن الله إليكم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: **فِيهِ مَسَائِلُ:**

- **الْأُولَى**: إِنْكَارُهُ عَلَى مَنْ قَالَ: «**نَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ**».
- **الثَّانِيَةُ**: تَغَيُّرُهُ تَغَيُّرًا عُرِفَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ مِنْ هَذِهِ اَلْكَلِمَةِ.
- **الثَّالِثَةُ**: أَنَّهُ لَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ قَوْلَهُ: «**نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اَللهِ**».

الشرح:

لأنَّ هذا حقّ (**نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اَللهِ**)؛ حقٌّ فلماذا يُنكره؟ فهو من باب التوسُّل بدعاء الرجل الصالح.

تقول: (**نَسْتَشْفِعُ**)؛ أي: نطلب منك الشفاعة عند الله أن تدعو الله أن يغيثنا. أن تدعُو الله أن يُمطرنا. وهذا في حال حياته هو عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قادر على الدعاء ولَّا لا؟

المتن:

- **الرَّابِعَةُ**: اَلتَّنْبِيهُ عَلَى تَفْسِيرِ «**سُبْحَانَ اَللهِ!**».
- **الخَامِسَةُ**: أَنَّ اَلْمُسْلِمِينَ يَسْأَلُونَهُ اَلاسْتِسْقَاءَ.

قال:

بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ اَلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَى اَلتَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ اَلشِّرْكِ

عَنْ عَبْدِ اَللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اِنْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا. فَقَالَ: «**اَلسَّيِّدُ اَللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَى» قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا

فَضْلاً، وَأَعْظَمُنَا طَوْلاً. فَقَالَ: «**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ اَلشَّيْطَانُ**». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اَللهِ، يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا، فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا اَلنَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ اَلشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اَللهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي اَلَّتِي أَنْزَلَنِي اَللهُ** عَزَّوَجَلَّ». رَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ.

الشرح:

هذا الباب مناسبته: أنَّه أراد أن يختم كتاب [**التوحيد**] فأتى بهذا الباب لنعتقد أنَّ الموحِّد يعتقد أنَّ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَمَى التوحيد مو هو بس بالأفعال كمال سبق؛ بل حتى في باب الأقوال.

و(**حِمَى التَّوْحِيدِ**)؛ جوانبه.

وسدَّ كل طريق الشِّرْك المُوصِلة إلى خَدْش التوحيد.

أورد فيه حديث عبد الله بن الشِّخِّير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: أنَّهم قالوا: (**أَنْتَ سَيِّدُنَا**)؛ لا شك أنَّ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سيِّدنا؛ لكن قال: (**اَلسَّيِّدُ اَللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَى)؛ أراد أن يُعلِّمهم أنَّ السيِّد على الإطلاق هو الله، ومَا عداه ومَن عداه فهو سيِّدٌ نِسبيًّا.

قال: (**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ اَلشَّيْطَانُ**)؛ فيه دلالة أنَّ الشيطان قد يجُرُّ الإنسان بالمدِيح ليقول ما ليس بصحيح، قد يجرُّك بالمديح لتقول ما ليس بصحيح؛ فانتبه!

ثم ختَمَ هذا الباب بحديث أنس، وفيه: (**وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ اَلشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ**)؛ هُم أيش قالوا؟

(**يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا**)؛ كونه (**خَيْرُنَا**)؛ ما في إشكال، كونه (**سَيِّدُنَا**)؛ ما في إشكال؛ الإشكال في (**وَابْنَ خَيْرِنَا.... وَابْنَ سَيِّدِنَا**)؛ فأبوه ليس خير أُمَّة، ولا سيِّد الأُمَّة؛ هذا وجه الإشكال.

فقال: (**يَا أَيُّهَا اَلنَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ اَلشَّيْطَانُ**)؛ استهواء؛ يجيب لكم أشياء محبوبة لكم، تحبُّون تمدحوا النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيأتيكم. (**أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اَللهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي**).

المتن:

أحسن الله إليكم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: **فِيهِ مَسَائِلُ:**

- **الْأُولَى**: تَحْذِيرُهُ اَلنَّاسَ عَنَ اَلْغُلُوِّ.
- **الثَّانِيَةُ**: مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ مَنْ قِيلَ لَهُ: «**أَنْتَ سَيِّدُنَا**».
- **الثَّالِثَةُ**: قَوْلُهُ: «**وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ اَلشَّيْطَانُ**» مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا إِلَّا اَلْحَقَّ.
- **الرَّابِعَةُ**: قَوْلُهُ: «**مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي**».

الشرح:

مَن قال: أنتَ سيِّدنا» وفَهِم أنَّه لا يَفهَم أنَّ السيِّد على الإطلاق هو الله؛ تقول له: السيد هو الله.

المتن:

أحسن الله إليكم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اَللهِ تَعَالَى:

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [سورة الزمر، من الآية:٦٧]. اَلْآيَةَ.

عَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ اَلْأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اَللهَ يَجْعَلُ اَلسَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ اَلْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا اَلْمَلِكُ. فَضَحِكَ اَلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، تَصْدِيقًا لِقَوْلِ اَلْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾. اَلْآيَةَ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «**وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ: أَنَا اَلْمَلِكُ أَنَا اَللهُ**».

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: «**يَجْعَلُ اَلسَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ اَلْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ**».

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ اِبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مَرْفُوعًا: «**يَطْوِي اَللهُ اَلسَّمَاوَاتِ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ اَلْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا اَلْمَلِكُ؛ أَيْنَ اَلْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ اَلْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي اَلْأَرْضِينَ اَلسَّبْعَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا اَلْمَلِكُ، أَيْنَ اَلْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ اَلْمُتَكَبِّرُونَ؟**».

وَرُوِيَ عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «**مَا اَلسَّمَاوَاتُ اَلسَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ اَلسَّبْعُ فِي كَفِّ اَلرَّحْمَنِ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ**».

وَقَالَ اِبْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، أَنْبَأَنَا اِبْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ اِبْنُ زَيْدٍ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: «**قَالَ رَسُولُ اَللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **مَا اَلسَّمَاوَاتُ اَلسَّبْعُ فِي اَلْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ**».

قَالَ: وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعْتَ رَسُولَ اَللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَا اَلْكُرْسِيِّ فِي اَلْعَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ اَلْأَرْضِ**».

وَعَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**بَيْنَ اَلسَّمَاءِ اَلدُّنْيَا وَاَلَّتِي تَلِيهَا خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ اَلسَّمَاءِ اَلسَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ اَلْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ اَلْمَاءِ، وَاَللهُ فَوْقَ اَلْعَرْشِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ**». أَخْرَجَهُ اِبْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ زِرٍّ عَنْ عَبْدِ اَللهِ، وَرَوَاهُ بِنَحْوِهِ اَلْمَسْعُودِيُّ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَهُ اَلْحَافِظُ اَلذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ: وَلَهُ طُرُقٌ.

وَعَنْ اَلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ اَلْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ اَلسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟**» قُلْنَا: اَللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ اَلسَّمَاءِ اَلسَّابِعَةِ وَالْعَرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ**

وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ اَلسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَاَللَّهُ تَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ.

الشرح:

خَتَمَ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا الباب، ومناسبته جليَّة من حيث إنَّ الموحِّد يعلم أنَّه مهما اعتقَدَ وقال وفَعَل فإنَّه لا يصلُ إلى مرتبةٍ يُقدِّر الله حقَّ قَدْره؛ وذلك لأنَّ الله أجلّ وأعظم، فهو الحميد المجيد ذو الجلال والإكرام، العزيز الجبَّار القهَّار سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذه من علامات الموحِّدين.

حتى الملائكة الذين يعبدون الله الليل والنهار يقولون في آخر ذلك يوم القيامة: يا ربَّنا ما عَبَدناك حقَّ عبادتك، ولا قدَّرناك حقَّ قَدْرك.

أمَّا مَن نَقَصَ التوحيد في قلبه فإنَّه يحصُل منه التمنُّن على الله، يحصُل منه أنَّه يُخطئ في خطابه مع الله.

أورَدَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تحت هذا الباب الذي عنونه بآية «سورة الزُّمر» ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[سورة الزمر، الآية:٦٧].

أورَد فيه سبعة أحاديث وآثار، والمقصود من ذلك: أنَّ الإنسان عليه أن يعلم أنَّ الله بهذه العظمة؛ فكيف يلتفِتُ إلى غيره؟

كيف يلتفِتُ إلى مخلوق؟

كيف يلتفتُ إلى مَلَك أو مَلِك، أو نبي أو رسول؟

وهذه الأحاديث جليَّة في عظمة خَلْق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

تأمَّل حديث ابن مسعود (**أَنَّ اَللهَ يَجْعَلُ اَلسَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ اَلْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ**)؛ يعني: يوم القيامة.

(**أَنَا اَلْمَلِكُ. فَضَحِكَ اَلنَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ**)؛ تصدِيقًا لقول الحقِّ.

هذا كلام ابن مسعود، فإذا جاءَك الأشعريّ المُبطِل والمُنكِر للصفات يقول: ضَحِكَ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إنكارًا. نقول له: لا، لستَ أفهَم من ابن مسعود.

ثم أورَدَ أيضًا حديث مسلم عن ابن عُمر: (**يَطْوِي اَللهُ اَلسَّمَاوَاتِ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ اَلْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا اَلْمَلِكُ؛ أَيْنَ اَلْجَبَّارُونَ؟**)؛ هذا تفسير لقوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾.

(**أَيْنَ اَلْجَبَّارُونَ؟**)؛ أي: من الناس الذين كانوا يزعمون ذلك.

(**أَيْنَ اَلْمُتَكَبِّرُونَ؟**)؛ من الملوك.

(**ثُمَّ يَطْوِي اَلْأَرْضِينَ اَلسَّبْعَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا اَلْمَلِكُ، أَيْنَ اَلْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ اَلْمُتَكَبِّرُونَ؟**).

وأورَدَ حديث ابن عباس موقوفًا، وفيه: (**مَا اَلسَّمَاوَاتُ اَلسَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ اَلسَّبْعُ فِي كَفِّ اَلرَّحْمَنِ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ**)؛ هنا يفهم المؤمن معنى «الله أكبر!».

وأورَدَ حديث زيد بن أسلَم عن أبيه: (**مَا اَلسَّمَاوَاتُ اَلسَّبْعُ فِي اَلْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ**)؛ طبعًا هذا موقوف؛ فزَيْد بن أسلم وأبوه ليسوا من الصحابة.

وأمَّا أثر حديث أبي ذرٍّ: (**مَا اَلْكُرْسِيِّ فِي اَلْعَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ اَلْأَرْضِ**)؛ يا الله! انظُر على عظمة العرش؛ هذا دليل على عظمة ربِّ العرش ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [سورة البروج، الآيتان:١٥،١٦].

ثم أورد حديث ابن مسعود، وفيه: بيان البُعْد المكاني بين السماوات والتي تليها (**خَمْسُمِائَةِ عَامٍ**)؛ ولم يُبيِّن خمسُمائة عام من أعوام مَن؟ من أعوام الله أو من أعوامكم ﴿وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [سورة الحج، من الآية:٤٧].

(**وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ اَلسَّمَاءِ اَلسَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ**)؛ وهذا فيه دلالة على تساوِي المسافات بين السماء والسماء، وبين السماء السابعة والعرش وبين السماء السابعة والكرسي، وبين الكرسي والعرش.

قال: (**وَبَيْنَ اَلْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ اَلْمَاءِ**).

هذا الحديث -أعني: حديث عبد الله- ما يصير أنَّك تقول: إنَّه من الإسرائيليَّات. ليش يا عُمر؟ لأنَّ عبد الله بن مسعود باتِّفاق العلماء ليس ممَّن يروِي الإسرائيليَّات، والباب ليس باب اجتهاد. إذًا له حُكم الرَّفْع، وهو حديثٌ ثابت.

ثم ختَمَ الباب بحديث العباس بن عبد المطَّلب، والعبَّاس بن عبد المطَّلب أيضًا ليس ممَّن يروِي الإسرائيليَّات؛ فلا يأتي أحد يقول: هذا مأخُوذ من الأُمم السابقة.

وفيه تنصيص نفس حديث ابن مسعود: (**بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ**)؛ وهنا فقه الإمام محمد أنَّ حديث ابن مسعود موقوف، حديث العبَّاس مرفوع؛ فكأنَّه يقول: هذاك -وإن كان موقوفًا- له حُكم الرَّفع يؤكِّده رواية العبَّاس.

(**وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ**)؛ ما الإنسان إذًا نُقطة في بحرٍ من ملكوت الله.

ما نسبتك أنت إلى الأرض؟ ولا شيء.

ما نسبة الأرض إلى ما يسمَّى بـ«المجموعة الشمسية»؟ ولا شيء.

ما نسبة المجموعة الشمسية إلى درب التِّبَّانة؟ ولا شيء.

ما نسبة درب التِّبَّانة إلى ملكوت الله؟ ولا شيء.

سبحان الله!

وكل هذا مخلوق خَلَقَه الله لأجلك، وخَلَقَك لأجله لتعبُده؛ ثم تُضيِّع الأمانة؟!

لا حول ولا قوَّة إلَّا بالله!

المتن:

أحسن الله إليكم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: **فِيهِ مَسَائِلُ:**

- **اَلْأُولَى**: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾. الْآيَة.

- **اَلثَّانِيَةُ**: أَنَّ هَذِهِ اَلْعُلُومَ وَأَمْثَالَهَا بَاقِيَةٌ عِنْدَ اَلْيَهُودِ اَلَّذِينَ فِي زَمَنِهِ لَمْ يُنْكِرُوهَا وَلَمْ يَتَأَوَّلُوهَا.
- **اَلثَّالِثَةُ**: أَنَّ اَلْحَبْرَ لَمَّا ذَكَرَهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدَّقَهُ، وَنَزَلَ اَلْقُرْآنُ بِتَقْرِيرِ ذَلِكَ.
- **اَلرَّابِعَةُ**: وُقُوعُ اَلضَّحِكِ الْكَثِيرِ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذِكْرِ اَلْحَبْرُ هَذَا اَلْعِلْمَ اَلْعَظِيمَ.
- **اَلْخَامِسَةُ**: اَلتَّصْرِيحُ بِذِكْرِ اَلْيَدَيْنِ، وَأَنَّ اَلسَّمَاوَاتِ فِي اَلْيَدِ اَلْيُمْنَى، وَالْأَرَضِينَ فِي اَلْأُخْرَى.
- **اَلسَّادِسَةُ**: اَلتَّصْرِيحُ بِتَسْمِيَتِهَا اَلشِّمَالِ.

الشرح:

طبعًا هذه المسألة فيها خلاف؛ هل يُسمَّى اليد الأخرى بـ «الشِّمال»؟ هي ورَدَتْ في بعض روايات مسلم؛ لكن الصحيح كما جاء في الحديث: «**وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ**».

لكن هنا الكلام بكلمة التسمية؛ فالوَصْف كلاهما يمين.

والصواب: أنَّ التسمية أيضًا كلاهما يمين.

المتن:

- **اَلسَّابِعَةُ**: ذِكْرُ اَلْجَبَّارِينَ وَالْمُتَكَبِّرِينَ عِنْدَ ذَلِكَ.
- **اَلثَّامِنَةُ**: قَوْلُهُ: «**كَخَرْدَلَةٍ فِي كَفِّ أَحَدِكُمْ**».

- **اَلتَّاسِعَةُ**: عَظَمَةُ اَلْكُرْسِيِّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اَلسَّمَوَاتِ.
- **اَلْعَاشِرَةُ**: عَظَمَةُ اَلْعَرْشِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اَلْكُرْسِيِّ.
- **الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ**: أَنَّ اَلْعَرْشَ غَيْرُ اَلْكُرْسِيِّ.
- **اَلثَّانِيَةَ عَشْرَةَ**: كَمْ بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ؟
- **اَلثَّالِثَةَ عَشْرَةَ**: كَمْ بَيْنَ اَلسَّمَاءِ اَلسَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ؟
- **اَلرَّابِعَةَ عَشْرَةَ**: كَمْ بَيْنَ اَلْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ؟
- **اَلْخَامِسَةَ عَشْرَةَ**: أَنَّ اَلْعَرْشَ فَوْقَ اَلْمَاءِ.
- **اَلسَّادِسَةَ عَشْرَةَ**: أَنَّ اَللهَ فَوْقَ اَلْعَرْشِ.
- **اَلسَّابِعَةَ عَشْرَةَ**: كَمْ بَيْنَ اَلسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟
- **اَلثَّامِنَةَ عَشْرَةَ**: كِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُمِائَةِ سَنَةً.
- **اَلتَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ اَلْبَحْرَ اَلَّذِي فَوْقَ اَلسَّمَاوَاتِ بَيْنَ أَعْلَاهُ إِلَى أَسْفَلِهِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ.**

وَاَللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اَللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

الشرح:

الحمد لله الذي بنِعمته تتمُّ الصالحات، ويسَّرَ لنا ولكم مذاكرة هذا الكتاب المبارَك الذي يُرسِّخ التوحيد في القلب.

ونسأله جَلَّ وَعَلَا أن يرزُقنا وإيَّاكم العلم النافع، وأن يُديم علينا الأمن والأمان والأُلفة والمحبَّة وطاعة الرحمن، وأن يُصلح وُلاة أمر البلاد وأن يجعلهم نافعِين للعباد.

ونسأله -سُبْحَانَهُ- أن يُمِيتنا وإيَّاكم على التوحيد، وأن يجعل خير أعمالنا خواتيمها وهير أيامنا يوم اللقاء.

وصلِّ اللهم وسلِّم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعِين.

وأُجِيزُ كلَّ مَن حضَرَ هذا الشرح بمروياتي عن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

سبحانك اللهمَّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلَّا أنتَ، أستغفركَ وأتوب إليك.

طالب: .....

وإيَّاكم أسأل الله أن يُبارك فيكم.